

أحد آباء المجمع السابع

(لوقا ٨: ٥-١٥)

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

أيها الأحياء، نقيم في هذا الأحد تذكراً للآباء القديسين الذين اجتمعوا في المجمع المسكوني السابع. ولهذا اختار آباؤنا القديسون أن يتلى في هذا الأحد المقطع الإنجيلي والرسالة الذين سمعناهما.

الإنجيل هو من بشارة القديس لوقا حيث سمعنا ذلك المثل الذي قاله الرب يسوع لتلاميذه، مثل الزارع. خرج الزارع ليزرع زرعه وفيما هو يزرع سقط بعض من زرعه البعض في الطريق فأكلته الطيور ولم ينبت، لم يأت بأي ثمر. والبعض الآخر سقط على الأرض ولكنها صخرية فيها القليل من التراب، فلما نبت يبس لأنه لا يوجد رطوبة كافية في الصخر. وقسم سقط في أرض ترابية فنبت إلا أنه كان هناك شوك فنبت مع الزرع وخنقه وبالتالي مات ولم يأت بثمر. أما القسم الآخر من الزرع فسقط في الأرض الصالحة فلما نبت أثمر مئة ضعف.

أعطى الرب يسوع هذا المثل لتلاميذه فتحيروا وسألوه ما عساه يكون ذلك، فشرح لهم

الزرع كلمة الرب، هو كلمة الله، والأرض هي كل واحد منا. يسقط بعض الزرع على الطريق نعم هناك بعض من الذين لا يقبلون كلمة الله، يرفضون كلمة الله، لا يتقبلون كلمة الله، فيأتي إبليس كما يقول الرب وينزع الزرع منهم.

وهناك البعض ممن يتقبلون الكلمة ويتقبلون الزرع بحماس، يثرون بعاطفة قوية دون أصل أو جذور عميقة فينبت الزرع بسرعة. ولكن، وبسبب عدم وجود جذور عميقة لهذا الزرع كما يقول الرب - لأن ليس فيهم أصل وإنما هم يؤمنون إلى حين وفي وقت التجربة يرتدون عن الإيمان ويسقطون - فإن هذا الزرع يموت من جديد. هناك آخرون يجعلون من أنفسهم أرضاً تتقبل الزرع لكنهم يقطنون ومنتبهين بشكل دائم أو ساهرين، فينبت مع الزرع شوك والشوك ينمو ويكبر فيخنق الزرع ويقتله، وهذا كأولئك الذين يذهبون فيختنقون بهموم هذه الحياة وغناها وملذاتها - يقول الرب - فلا يأتون بثمر. وأذكر هنا ما قال القديس غريغوريوس النصصي الذي هو أخ للقديس باسيليوس الكبير. كلّمكم تسمعون عن القديس باسيليوس الكبير. كتب القديس غريغوريوس رسالة كانت عبارة عن جواب أو خطاب لأحد أصدقائه، يشرح في هذه الرسالة، في هذا الخطاب، ما معنى كلمة مسيحي، وعندما يأتي في حديثه على أن المسيحية هي تشبه بالطبيعة الإلهية استناداً لما في الإنجيل الشريف، فإنه يوضح لصديقه معنى كلمة المسيحي فيجيبه بما معناه: إن المسيحية هي أمر يحصل في القلب في كيان الإنسان. الإنسان يصبح مسيحياً. ليست المسيحية عبارة عن طلاء خارجي نغير لونه متى أردنا، المسيحية في القلب، في الكيان. ويعطيه أمثلة معروفة في بلاد اليونان، يجدر بي أن أذكرها لمحبتكم.

يقول له: كان هناك إنسان عنده قرد وقد علم هذا القرد أن يقوم ببعض الألعاب البهلوانية كأن يقدم بعض التمثيليات التي يقدمها البشر. وفي إحدى المرات، وبينما هو في المسرح، القرد على المسرح بالطبع وقد ألبسوه لباس إنسان ليقدّم أعمالاً بهلوانية، وكان الناس سعيدين أمسك أحد الأشخاص ممن يعلمون أن القرد يحب الجوز، أمسك بثلاث جوزات ورمى بها على المسرح أمام ذلك القرد فنسي أنه بئيب إنسان يقدم دور إنسان فمزق الثياب التي كانت عليه وانقض على الجوزات الثلاث ليأكلها لأنه يحب الجوز. يعلمنا القديس من هذه الأمثلة أن الإنسان المسيحي لا يستطيع أن يصطنع المسيحية والأ يؤول إلى ما آل إليه هذا القرد الذي نسي ذاته فضعف أمام لذة أو ميل ما وعاد إلى حقيقته بعد أن اكتشف أمره. المسيحية ليست تصنعاً، ليست طلاء، ليست طلاء خارجياً. المسيحية هي، كما يقول الرب في هذا المثال: أما الذين سقطوا في الأرض الجيدة فهم الذين يسمعون الكلمة ويحفظونها في قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر. نعم، يثمرون بالصبر، لأنه بدون الصبر لا يستطيع الإنسان

أن يقوم بأي عمل صالح. من يستطيع أن يحب دون أن يتحلّى بالصبر؟ من يستطيع أن يخدم، قولوا لي، دون أن يتحلّى بالصبر؟ آية أم أو أب أو أخ أو إنسان على وجه البسيطة؟ أيّ أم على سبيل المثال تستطيع أن تخدم ابنها دون أن تتحلّى بالصبر؟ أي طالب يستطيع أن يدرس وأن يسهر الليالي وأن ينجح دون أن يتحلّى بالصبر؟ أي واحد منا في أية حالة من حالات حياته، في أي وجه من أوجه حياته، إن لم يتحلّ بالصبر يستطيع أن يأتي بعمل صالح؟! ولذلك يقول الرب من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص. من يصبر إلى المنتهى هو الذي يثمر ويقوم بأعمال صالحة. ولهذا سمعنا الرسول في الرسالة التي تليت بهذه المناسبة (إننا نعيّد للأباء الذين اجتمعوا في المجمع المسكوني السابع) يتكلّم: صادقة هي الكلمة. نعم، صادقة هي الكلمة، ويحتثنا على أن نتمم الأعمال الصالحة. أن نتمم الأعمال الصالحة ونحن نتذكّر قول الرب إن الزارع يزرع كلمته فينا وإنّ على كل واحد منا أن ينقي قلبه وأن يأخذ هذه الكلمة، أن يتلقّف هذه الكلمة، أن يتلقى هذه الكلمة، وأن يجعلها في كيانه، في أعماق قلبه، أن يحفظها هناك وأن يصبر إلى المنتهى، وأنذاك يأتي بثمار صالحة، يأتي بأعمال صالحة. وأردد هنا على محبتكم ما رتلناه في صلاة السحر، هذه الترتيلة الجميلة التي تتكلّم عن الآباء القديسين الذين آمنوا بالإله الواحد المثلث الأقانيم فنغبطهم قائلين: يا لكم من جيش إلهي، يا جنود معسكر الرب اللاهجين بالله، كواكب الجلد العقلي الكلي الضياء، يا أبراجاً منيعة لأورشليم السريّة، يا أزهار الفردوس العطرة الشذا، والأفواه الذهبية للكلمة، يا فخر نيقية وبهجة المسكونة تشفّعوا بلا انقطاع من أجل نفوسنا.

فليقولنا الرب الإله لنتقبّل الكلمة وثمر كلمته فينا ونتمتع بنوره الإلهي ونكون كما كان أولئك الآباء القديسون، أن يكون كل واحد منا حصناً منيعاً لكلمة الرب، زهرة في فردوسه عطرة، فما ذهبياً يتكلّم بالكلمة الإلهية فيتمجد اسمه القدوس، هو المبارك وهو الممجد إلى الأبد، آمين.